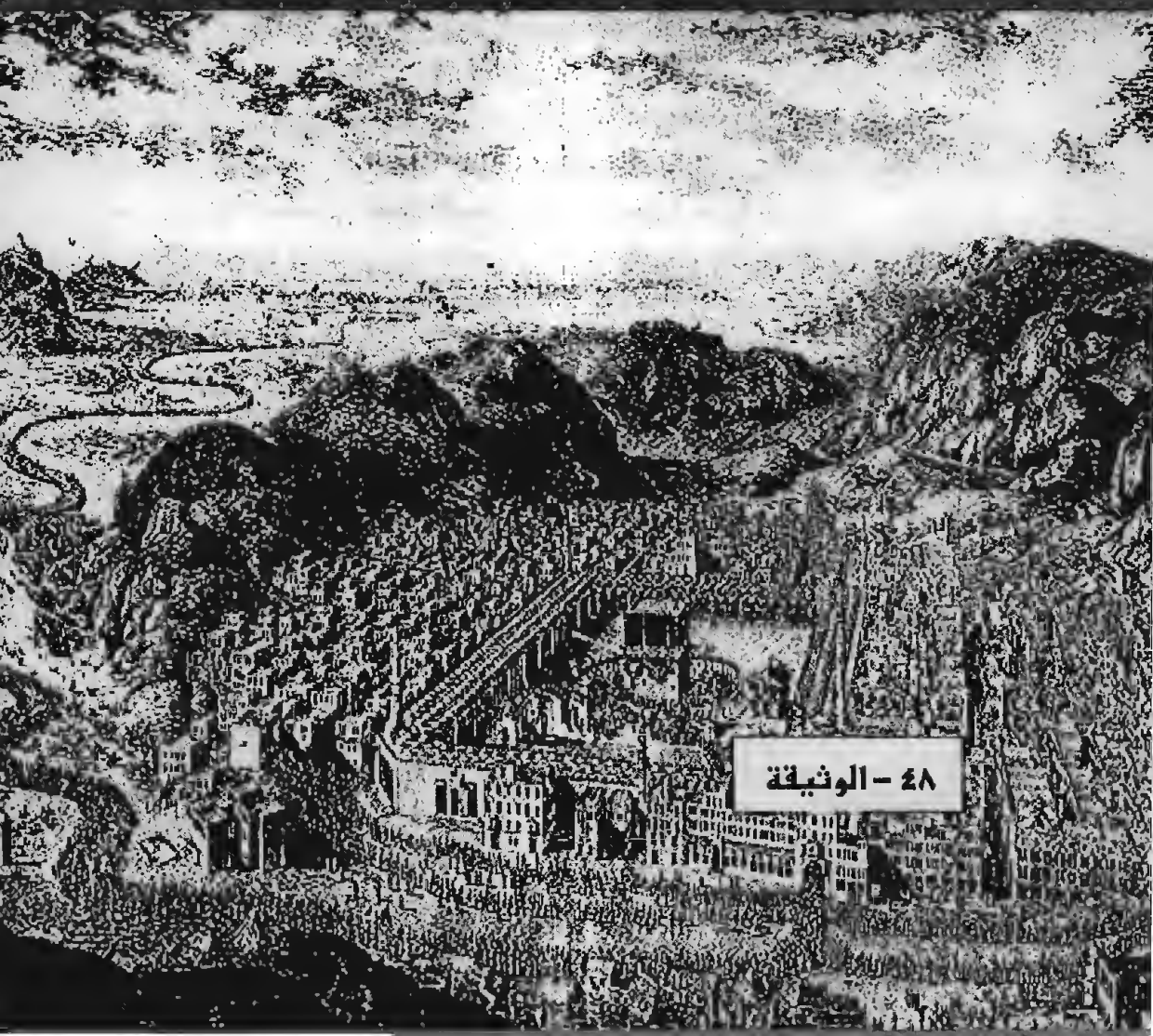


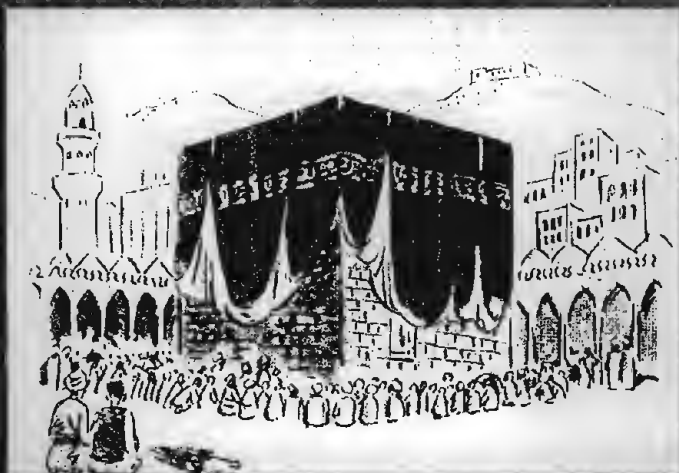
# مكتبة

بقلم : الدكتور علي أباحسين



٤٨ - الوثيقة

# ومحاضرة اللاسكس



لما كان التاريخ خبرا  
وبحثا وتحقيقا ونقدا  
لما وقع من الحوادث  
الماضيات، وعلى قدر  
المصادر والوثائق  
يوفق الباحثون في  
منهجهم العلمي،

فلم يهمل الباحثون المصادر الدينية المدونة ويعتمدوا على مصادر غير  
مدونة من أدوات حجرية وعظام لإنسان قديم وجدوه في (بكين) أو  
(جاوة) أو (العراق) أو في (نياندرتال) بألمانيا ليقولوا هذا أقدم إنسان .

وفي هذا المكان حيث وجدوا الهياكل العظمية نشأت الحضارة .

إنني أرجح أن في مكة المكرمة كان فجر الحضارة البشرية . وفي مكة  
المشرفة كان المنطلق الأول للحضارة الإنسانية . وإليك الأدلة  
على ذلك .

يرجح علماء الآثار على أن الجزيرة العربية مهد (الساميين) ومنها نزحوا إلى الهلال الخصيب في زمن لعله منتصف الألف الثالث قبل الميلاد . ويرى بعض الباحثين أن هجرة سامية من جزيرة العرب إلى مصر حدثت في الألف الرابع قبل الميلاد، ويدللون على ذلك أن جزيرة العرب كانت تتمتع بوفرة الأمطار وخصوبة التربة، والمناخ المعتدل، في الزمن القديم . ولا أجدني بحاجة إلى التدليل على ذلك فقد كفانا طائفة من العلماء ومنهم (كايتاني) إثبات أن الجزيرة العربية مهد الساميين .

أقول إذا كانت الحضارة في وادي الرافدين ووادي النيل وما بينهما من أرض الهلال الخصيب هي أولى الحضارات البشرية وأقدمها، ومنها اشتقت أو اقتبست الحضارات في الشرق والغرب وأن (الساميين) هؤلاء من سكان وادي الرافدين ووادي النيل نزحوا من الجزيرة العربية قبل مايزيد عن ستة آلاف سنة . لذا يصح القول أن فجر الحضارة كان من جزيرة العرب التي نزح منها هؤلاء (الساميون) وهم أبناء (سام) ابن سيدنا نوح عليه السلام على ما ورد في (سفر التكوين)<sup>(١)</sup> ومن هنا نعود إلى مكة المكرمة البلد المقدس وهو في الجزيرة العربية وفيها البيت الحرام الذي بنته الملائكة ثم آدم ، فهو أول بيت وضع للناس ومنها كان منطلق الحضارات لأن هؤلاء الساميين النازحين من الجزيرة العربية أقاموا الحضارات (الأكدية) و(الأشورية) و(البابلية) و(الأرامية) و(الفينيقية) وغيرها . ولا بد أنه كانت لهم حضارة عريقة تمثلت في بناء البيت العتيق الذي له أكثر من مفهوم ديني، فهو مركز حضاري حج إليه أول البشر، ومن ذريته من بعده . ولا شك أن في الحج ديناً واجتماعاً واقتصاداً وعلماً ومعرفة وتعارفاً وتبادلاً للآراء، وتلك لعمرى من مظاهر الحضارة . ومن هنا يتضح أن لمكة الدور القيادي للحضارة الإنسانية منذ ما يزيد على الستة آلاف سنة على ما دونه علماء التاريخ القديم أولاً، ومنذ ما خلق الله أبا البشر آدم عليه السلام، وبنى البيت الذي بمكة على ما ورد في القرآن الكريم ثانياً . ولم يعد البرج المدرج (الزقورة)

الذي وجدت آثاره بمدينة (أريدو) في عهد العبيد من أرض الرافدين هو أقدم بناية دينية في تاريخ العالم، لأنه كما ذكر الأستاذ (طه باقر) يعود في تاريخه إلى سنة ٤٠٠٠ قبل الميلاد . ولما كانت بداية هجرة الساميين كما في مقدمته قد بدأت منذ ما يزيد على الستة آلاف سنة . والكعبة المشرفة قد بنيت منذ القدم فتصبح أقدم بناية دينية في تاريخ العالم .

أقول (لما كان التاريخ توقيئاً وإخباراً للاجتماع البشري، لأن هذا الاجتماع الإنساني إنما هو عمران العالم، فالإنسان مدني بالطبع، وأول عمران حدث في العالم بمكة المكرمة، وقد حدث فيها استقرار وعبادة وكسب وتجارة، وكان لابد من وازع ديني ينظم حياتهم ويمنعهم من التظالم)<sup>(١)</sup> . ومن هنا كان العمران البشري عند الأمم التي اعتنقت الديانات السماوية والتي يجمعها الدين الإسلامي وقد عرفه أحد مشايخنا : أنه الدين الذي أنزله الله على عباده على السنة رسله، وأن الأمم التي بدلت وانحرفت عن أمر دينها انهارت دولها، وفي عاد وثمود مثال .

ولقد قال إبراهيم عليه السلام : (رب اجعل هذا البلد آمناً وارزق أهله من الثمرات) أجل إن الله سبحانه وتعالى استجاب لخليله فجعله بلداً آمناً لمن آمن بالله واليوم الآخر، يجد فيه الخائف الطمأنينة في النفس ويأتيه الرزق من كل الديارات .

ولاشك أن الأمن من عوامل التقدم الحضاري، فإن الأمن نعمة أسبغها الله عز وجل على هذا البلد من دون البلدان، فكان للاستقرار كبير الأثر في النضوج الحضاري لأن العقل البشري يجد مجالاً للابتكار والإبداع والنشاط حيثما يسود الأمن والسلام . وقد اعتبر (ول ديورانت) العوامل النفسية كالأمن في النفوس من عوامل قيام الحضارة وتقدمها وأقسم رب العالمين بهذا البلد الأمين، وبقي وسيبقى كذلك أبد الأبد .

وهذا تأكيد ودليل آخر على أن فجر الحضارة البشرية كان منطلقه من مكة الإسلام، حيث ساد الأمن فيها وبني أول بيت لعبادة الإنسان لخالقه، فاجتمع الناس حوله منذ أقدم عصور التاريخ .

فذرني والواضعين للنظريات كي أحدثهم حديث الأرقام لعلمهم منصفون، فأقول : إذا كان أقدم بيت للعبادة وجده علماء الآثار يعود إلى ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد في مدينة (أريدو) فإن هذا البيت الذي بمكة أقدم منه . فقد ورد في مخطوط (نصيحة الملوك)<sup>(٣)</sup> المعروف بعمدة المحققين وبرهان اليقين للغزالي لعله أبو حامد قوله : "من وفاة نوح عليه السلام إلى الآن ستة آلاف سنة" هذا ما قاله المؤلف الذي توفي في مستهل القرن السادس الهجري، حينئذ مضى على وفاة سيدنا نوح عليه السلام نحو سبعة آلاف سنة . وورد في ذيل (الآثار الباقية عن القرون الخالية) لابن جرير الطبري في تاريخ أبي الفداء<sup>(٤)</sup> قوله : "إن الطوفان قد حدث بعد مضي ألفين ومائتين واثنين وأربعين سنة من هبوط آدم عليه السلام" .

إذن يمكن تقدير ظهور أبي البشر آدم عليه السلام على الأرض قبل نوح بـ ٢٤٤٢ سنة ومن نوح إلى الآن نحو سبعة آلاف سنة . إن هذا الحساب الذي لا يعلم مفاتيحه إلا الله، ولكن على الأقل يعطينا صورة واضحة ما أمكن ذلك على أن بيت العبادة بمكة أقدم بما يزيد على الخمسة آلاف سنة عن أقدم أثر تاريخي ذكره المؤرخون في التاريخ القديم . فإذا ساروا معنا في هذا القول يصبح البلد الذي هو مكة وفيه أقدم أثر ديني المركز الأول لفجر الحضارة البشرية لأن في هذا البيت أكثر من معنى ففيه عبادة وحوله اجتماع واستقرار وهذا ما يطلق عليه بعصور الحضارة الحديثة .

والذي أصبح عندنا أن جرهما قدمت إلى مكة قبل الهجرة النبوية بنحو ٢٥٠٨ سنين أو بنحو أربعة آلاف سنة قبل اليوم وأنهم ساكنوا أم إسماعيل عليه السلام فيها بعد أن جدد بناء الكعبة إبراهيم وإسماعيل فرفع القواعد من قوله

تعالى : "وإنما يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل" قال الفخر الرازي في تفسيره : وفي مدائن صالح كتابات لبني إسماعيل تعود إلى خمسة عشر قرناً قبل الهجرة كما أوردها الخطيب<sup>(٥)</sup> .

وانتقل إلى دليل آخر على قدم مكة في التاريخ ودورها القيادي في الحضارة البشرية مما ورد في التوراة والإنجيل . ففي المزمور الرابع والثمانين الفقرة الخامسة والسادسة من العهد القديم ص ٨١٠ أي التوراة على لسان موسى عليه السلام قوله : "طوبى لأناس عزهم بك طرق بيتك في قلوبهم عابرين في وادي مكة" . وفي إنجيل متى الإصحاح الحادي والعشرين ص ٣٧ أن يسوع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام يقول : "أما قرأتم في الكتب الحجر الذي صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا هو عجيب في أعيننا وكذلك أقول أن ملكوت الله ينزع منكم ويعطي لأمة تعمل ثماره" .

ويعلق الأستاذ (ديورانت) في قصة الحضارة بقوله : "وإن لم يكن في وسع المسلمين أن يقولوا أنهم حققوا ما قاله عنهم المسيح"<sup>(٦)</sup> وأقول أنا أنهم سيحققون ذلك بإذن الله وباتحادهم وتضامنهم وسيجدون من رابطة العالم الإسلامي خير محقق للأهداف الإسلامية القويمة . وأن البيت الذي بمكة ورد في التوراة وفيها : "طوبى للمسلمين عزهم بك طرق بيتك في قلوبهم عابرين في وادي بكة" . وهي مكة . وهذا ما يثبت قدم هذا البيت ، حتى أن النبي موسى عليه السلام وقد عاش في القرن الثالث عشر قبل الميلاد أشار لأناس طرقوا البيت الذي بوادي مكة فكان عزهم بطرقهم إياه فطوبى لهم .

وذكر النبي عيسى عليه السلام في الإنجيل عن الحجر الأسود الذي صار في رأس الزاوية من قبل الرب عز وجل وبشر عيسى قومه أو لعله يعني بني إسرائيل

أن ملكوت الله سينزع منهم ويعطى لأمة تعمل ثماره والأمة التي ستنزع ذلك الملكوت منهم على قول (ول ديورانت) هي الأمة الإسلامية وأقول : سيحقق الله ذلك إن شاء الله .

دعونا ننقل إلى قدم مكة ودورها في التاريخ مستنديين على أدلة لغوية . أليست اللغات خير ما يحفظ لنا تاريخ أحداث وآثار مدن وأبطال . فالحج لفظ وجد في اللغات السامية العتيقة ، وقد ورد حك في العبرانية ، وفي العهد القديم أوردها تاج العروس<sup>(٧)</sup> واللسان ودائرة معارف الأديان ، فقال الدكتور جواد علي : إن لفظة حج وردت في كتابات مختلفة للشعوب المنسوبة إلى سام . وفي هذا ما يدل على قدم البيت المقدس العتيق بمكة . وكان الحج معروفاً عند الأمم القديمة منذ آلاف السنين ، له أيام معدودات تقام فيها شعائر دينية ومناسك وعبادات واجتماع وإن اختلفت مظاهرها بين الأمم وفي مختلف أحقاب التاريخ . وذكر الأزرقى ج ١/ص ١٠ : أن آدم وذريته حج بعد أن فرغ من بنائه .

وبعد ، أليس الحج لأول بيت وضع للناس في المسكون من الأرض مظهراً حضارياً لأنه جانب من جوانب الاجتماع الإنساني الذي حدث لأول مرة في التاريخ في أم القرى .

أعود إلى الآثار لعلها تقنعهم فأقول : أن أول خريطة للعالم قبل ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد وجدت ببابل ، وقد صورت على الطين ، وصورتها اليوم كما رأيتموها في قاعة الخرائط بالمتحف العباسي في مدرسة المستنصرية ببغداد ، أنها مدورة الشكل وبابل مركزها و(مكا) التي وردت في اللغة البابلية تقع في الجانب الأيسر من صورة المعمور من الأرض أو بمكان القلب من الجسد . ولعل ذلك الاعتبار كما أرى عند بعض الجغرافيين المسلمين كان من تأثير البابليين حينما صور (الاصطخري المتوفى سنة ٢٤٠ هـ) و(ابن حوقل سنة ٣٦٧ هـ) و(القزويني

سنة ٦٠٠هـ) صوروا المعمور من الأرض بشكل طائر فاتح جناحيه وقلبه لمكة . ووجدت في خارطة الشريف الإدريسي المتوفى سنة ٥٦٠ هـ المحفوظة في قاعة المتحف العباسي والتي جمع أجزاءها المستشرق الألماني (ملر) نجد مكة المشرفة في مركز خريطة العالم المعروف في عهده . هكذا حفظت اللغة البابلية لفظ مكة ومعناها بلغتهم البيت المقدس . وقد عاش البابليون في الألف الثاني قبل الميلاد .

وورد في اللسان السبأي ذكر (مكراباً) كمركز تجاري مشهور في العلاقات التجارية بين أهل يمن وأهل مكة . ونحن نعلم أن السبئيين عاشوا في حدود الألف الأول قبل الميلاد . وبحث المحققون في لغة السريان والإغريق فوجدوا (ماكورابا) التي ذكرها بطلميوس اليوناني وقد عاش في المائة الثالثة قبل الميلاد على ما ذكره ياقوت وقانون البيروني . ولا أجدني بحاجة إلى المزيد من الأدلة اللغوية فإنه من غير المعقول أن تحتوي لغة ما على لفظ ليس له مدلول .

وبعد، فإن مكة في التاريخ قديمة ولها قدسيته في مختلف العصور، واسمها مقرون بالإجلال والتقدير، وأن أول بيت وضع للناس الذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين، وقد سكنت حوله (جرهم) حتى القرن الثالث الميلادي . وعلى أثر انهدام سد مأرب في اليمن نزح الخزاعيون فسكنوا مكة وأصبحت تحت إمرتهم بعد أن أخرجوا جرهماً منها ومنهم (عمرو بن لحي الخزاعي) الذي قال عنه (ابن الكلبي) أنه أول من أدخل الوثنية إلى الجزيرة العربية من الشام . وانتقلت الولاية من (خزاعة) إلى أحد أجداد رسول الله ﷺ وهو (قصي) في مستهل القرن الخامس الميلادي من زواج قصي بحبى ابنة حليل الخزاعي .

بعد هذا العرض التاريخي ثبت أن هذا البيت العتيق قديم في التاريخ وهو أول بيت وضع للناس كما في القرآن والتوراة والإنجيل، وأن فجر الحضارة انبثق من حوله وإن تجاهله المؤرخون وجعلوا منطلق الحضارة في الفروع وتناسوا



أو قل تجاهلوا الأصل الذي انتقلت منه الموجات السامية وهو الجزيرة العربية . ومن جوار هذا البيت المقدس في أم القرى بدأ المجتمع الإنساني في الاستقرار والاجتماع فكانت المدينة الأولى فيها . أجل سيعودون بعد هذه الأدلة إلى ما ورد في القرآن الكريم، وحين يدرك العقل البشري الحقيقة فقد وصل إلى كنه تنزيل العزيز الحكيم . إن مكة التي تمك<sup>(٨)</sup> الجبارين فتذهب نخوتهم فلم يستطع غاز ما أن يستعمرها فكفأها الله شر الغزاة وجعل حرماً آمناً . وفي جملة إبراهيم عبدة لمن اعتبر وفي البيت العتيق عتق من الجبابرة . وفي مكة دور قيادي هام حين قام (قصي) جد رسول الله ﷺ فجمع القبائل وسمى مجمعا أو قريشا، وما التقرّيش إلا التجميع والتفتيش، جمعهم تحت رايته بمكة، وهذه أول وحدة سياسية اجتماعية واقتصادية للقبائل قبل الإسلام تحت لواء حملة جد أجداد رسول الله ﷺ وهو (قصي) في مكة المشرفة . ووزع (قصي) الوظائف بين القبائل . فظهرت بمكة حكومة تشبه دويلات المدن City States التي ظهرت في عصور التاريخ القديم منذ فجر السلالات . وكان لقصي قصر سماه (دار الندوة) وهي أشبه بالمجلس الاستشاري لهذه المدينة أو مجلس الشيوخ، إذ لا يدخلها إلا من بلغ الأربعين من العمر ومن نسل قصي، حيث تحل فيها المشاكل السياسية والاجتماعية .

وكانت له (السدانة) و (الرفادة) وهي جمع المال لتقديم الطعام لفقراء الحجاج وهم ضيوف بيت الله . هكذا جمع قصي السلطات بيده كالسلطة التشريعية وتتمثل برئاسته (دار الندوة) . وله سلطة حربية لأن بيده لواء الحرب، وله سلطة مالية يفرض الضرائب للرفادة ويسقي الحجيج بنقل الماء على الإبل من الآبار لتصب في أحواض من الإدم في الحرم ليشرب منها الحجاج . ولأبناء ابنه (عبد مناف) قيادات التجارات ولهم الإيلاف، وما الإيلاف إلا معاهدات مع الأمم المجاورة ومع رؤساء القبائل التي تمر تجارة أهل مكة في مراتبها .

وقاد أجداد رسول الله ﷺ تجارات العرب من أبناء عبد مناف الأربعة ، فمن كانت تجارته مع غيرهم فإن نصيبها في الغالب النهب والخسران . هاهو هاشم جد رسول الله ﷺ يقود القافلة صوب الشام ، وذاك عبد شمس للحبشة ، والمطلب لليمن ، ونوفل لفارس . وازدهرت مكة في عالم الاقتصاد فكانها فينيسيا أو بندقية العرب كما دعاها بعض المستشرقين فهي سوق الصيرفة أو البورصة تفرض سعر العملة الذي تراه مناسباً لقيمة المعدن النادر فيه إذ استغلت موقعها الجغرافي الوسط والنزاع التاريخي بين الفرس والروم لتنمية اقتصادياتها حتى كان لها دور قيادي في تاريخ التجارة قبل الإسلام .

وتمسك جد رسول الله ﷺ بباب الكعبة متحدياً أبرهة وفيله وقومه فأصاب الله أهل الفيل بنقمة جعلتهم كعصف مأكول ، فأعظمت القبائل في عبد المطلب موقفه في شرف الحفاظ على هذا البيت العتيق .

أرايتم كيف كان لمكة الدور القيادي في التاريخ : ففي مكة الإسلام نزل به الروح الأمين على رسول العالمين محمد ﷺ لينقل الناس كل الناس من جهل وجاهلية بالإسلام إلى علم وهداية : "اقرأ باسم ربك الذي خلق" آية العلم تنزل في مكة . ودار الأرقم على الصفا مدرسة أولى في الإسلام ، ومسجد المصطفى أول مدرسة جامعة في التاريخ الإسلامي حلقت حلقات العلم . والحرم المكي الشريف استقبل طلاب العلم من الصين شرقاً إلى بحر الظلمات والأندلس غرباً . ولا أجدني موعلاً في الدور الثقافي لمكة فإن آلاف المخطوطات التي ألفها علماء الإسلام والتي لو عرض بعضها على جامعات اليوم لنال مؤلفوها أعلى الألقاب العلمية . إنها خزانات الكتب في الخافقين شرقاً وغرباً وهي اليوم تكوّن العمود الفقري لبحوث الباحثين المعاصرين . وتلك لعمرى أصالة خلفتها حضارة إسلامية تذكرنا بأن علينا واجباً نستلهمه من أمس تلبد لنبني ، لتتعلم ونعمل كما فعلوا لمستقبل زاهر . ولا أحتاج إلى دليل إذا ما قلت أن ما كتب عن تاريخ

الحرمين الشريفين من مخطوطات، وما طبع منها يفوق ما كتب عن أي بلد آخر، ونظرة إلى فهارس كتب المكتبات لا في الحرمين فحسب بل وفي خزانات الكتب الشرقية والغربية نجد خير شاهد على ما نقول . أجل يحق لنا القول أن القيادة الفكرية بدأت في التاريخ الإسلامي من الحرمين الشريفين .

وبهجرة رسول الهدى ﷺ إلى دار الهجرة انتقل الدور القيادي إليها وإن احتفظت مكة بحرمها الشريف بمركزها الثقافي، فإن (معاذ بن جبل) ؓ درس بمكة قبل أن يتولى القضاء في اليمن . ومعاذ أول قاض عينه رسول الله ﷺ في اليمن وأجازه على ذلك، وهو الذي كان المعلم للقرآن والفقيه في الدين بمكة المكرمة، فقد خرج رسول الله ﷺ إلى حنين فاستخلف معاذاً إماماً وفقياً بمكة، (وعتابة) أميراً عليها . وظلت القيادة الفكرية والسياسية طيلة الثلث الأول من القرن الأول الهجري للمدينة المنورة ومكة المكرمة، فأقبل طلاب العلم ليأخذوا الحديث عن الحرمين الشريفين وهم أهل الأثر عن سيد البشر ﷺ . وفي التفسير لنا في (ابن عباس) ؓ دليل على أن كثيراً من علماء التفسير عيال على ابن عباس ومدرسته . أجل لتفخر أم القرى بآبى بن عباس وطلابه ما شاءت . وإذا قلنا عن التاريخ وتدوينه فهو مدين لابن إسحق والواقدي والمتقدمين من طبقات المؤرخين الذين دونوا السيرة والمغازي وهم من أهل الحرمين فلهم دورهم القيادي في تدوين التاريخ، لأن كتب التاريخ اليوم والأمس في جوهرها لا تخرج عن كتب المتقدمين لأن فيها العنصر التاريخي المتين، ومن جاء بعدهم إما شرحها أو اختصرها من زمن ابن هشام إلى ابن سعد والطبري وابن كثير ومن المتأخرين العقاد في عبقرياته وعبد السلام هارون في تهذيبه وبننت الشاطن وطه حسين وغيرهم . ومن دوافع التقدم العلمي عند المسلمين الدافع الديني، فقد تقدم علم الفلك والجغرافيا لأسباب منها معرفة اتجاه القبلة بمكة المكرمة والتثبت من أوقات الصلاة التي فرضها الله ﷻ في هذا البلد

الأميين، ولمعرفة منازل القمر وهلال رمضان والعبيدين . وكان للرحلة في طلب العلم ولاسيما الحديث أثر في معرفة المسالك والممالك . وللحج إلى بيت الله الحرام وزيارة المصطفى ﷺ له كبير الأثر في معرفة المسالك في الدول مما وسع المعرفة الجغرافية . ولا بد من الإلمام بثروات البلاد المفتوحة لاستيفاء الجزية والخراج ومعرفة العوامل الجغرافية المؤثرة فيها . كل ذلك وغيره كان من الأسس الأولى التي وضعت في عهد الخلافة الراشدة في المدينة المنورة .

وبعد، أليس للبلد الأميين ولدار الهجرة كبير الأثر في شحذ همم الرجال ومنهم عاملون بعلمهم وطلاب علم يشدون الرحال لمعرفة مواقع الغزوات والرصد ومسح الأراضي ووضع الأعلام لمسالك الحجاج بين مكة وخراسان وبخارى وسمرقند شرقاً إلى أقصى المغرب والأندلس غرباً .

هاهو التاريخ يحكي سير الخلفاء والأمراء والسلاطين وهم يوجهون عنايتهم للعلم والعلماء فينظمون البلاد المفتوحة والطرق المؤدية إلى مكة كابن الخطاب والوليد والمهدي والرشيد وزبيدة وعبد المجيد . وكانت الديار المقدسة القلب النابض بالحياة لكافة الأمصار الإسلامية أيام ثلاثة من الخلفاء الراشدين .

أجل إنني بحثت فوجدت العلماء الأجلاء -إلا نادراً منهم- قد جعل بداية علمه أو منتهى أجله أو زاده بسطة من العلم فتعلم، أو علم في الحرمين الشريفين . أقول بأنني مدين لهذا الحرم المكي في أسس دراستي الأولى في مدرسة أسسها بمدينة (بالزبير) من أرض العراق شيخ من شنقيط وعالم جليل نال من علم الشيخ شعيب المغربي ما نال في الحرم المكي ثم تخرج منه ليتجه صوب الشمال فيعلم في الإحساء وفي عنيزة، وفي الزبير بنى صرحاً للثقافة ومدرسة خرجت ولا زالت تخرج ما شاء الله منذ نحو نصف قرن انتشروا في الأرض . يرحم الله علماءنا العاملين في سائر ديار المسلمين .

ويأتي دور مكة القيادي في يوم يهدد العالم بعضه بعضاً بعد أن ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس وتبدلت المفاهيم الإنسانية، فالقوي يزدرى الضعيف ظلماً وبهتاناً، والإنسان يقتل الإنسان بسبب المادة أو حباً للسيطرة البهيمية، وعبدت الناس المال فاكفهر جو الحق وهدرت الفضيلة وقدمت قرباناً للرزيلة فلم تعد تجد إلا شبحاً للفضائل ولا للمثل الإنسانية إلا أثراً بعد عين . هنالك يستصرخ العقل الفعال في كل مكان ويستغيث أصحاب العقول النيرة باسم الواحد الأحد وباسم الإسلام وباسم محمد رسول الله ﷺ أن يغيثوا البشرية المعذبة في أيام احتضارها . ومن مكة المكرمة يتطلع الناس لمن يخرجهم من سطوة المادية إلى روحانية الإسلام وعدله، ينتظرون الدعاة الموحدين . أجل وتليي مكة الإسلام منادي التوحيد فتهرع ممثلة برابطتها الإسلامية التي جمعت الناس على التقوى من كل جنس وكل لون لتؤدي رسالتها، وهنا يتضح دور مكة القيادي للمسلمين في التاريخ المعاصر لتعيد مجدها الذي كانت عليه منذ نحو أربعة عشر قرناً لتخلص الإنسانية البائسة المستغيثة من برائن المادية وتخرجها إلى دعوة الإسلام برسالته الخالدة .

مرحى للمؤمنين المخلصين لدعوة الإسلام وهم يدعون الناس كل الناس في كل زمان ومكان، ومرحى لرابطة عالمية إسلامية وهي تؤدي رسالتها نحو المسلمين في كل مكان والله الهادي إلى سواء السبيل .

## الموامش

- ١ - سفر التكوين، ١٠٢ ول ديورانت، قصة الحضارة، ج ٢، ص ٩ .
- ٢ - ابن خلدون، المقدمة .
- ٣ - مخطوط نصيحة الملوك، للغزالي المتوفى سنة ٥٠٥، تحت رقم ٧٨ بمكتبة الحرم المكي .
- ٤ - أبو الفداء، تاريخه، ص ٩ .
- ٥ - محيي الدين الخطيب، الزهراء، ج ٧، مجلد ٥، ص ٤٦٨ .
- ٦ - ول ديورانت، قصة الحضارة، ج ٢، ص ١٩٦٣-١٩ .
- ٧ - جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٥، ص ٢١٤ ؛ وتاج العروس، ج ٢، ص ١٦ ؛ ودائرة معارف الأديان، ج ١٠، ص ٢٣ ؛ ولسان العرب، ج ١٣، ص ٤٨ .
- ٨ - أي تهلكهم .